التحيز في حوار الحضارات

أ.د. ليلى زعزوع *

عندما نستقرئ ما أنجز في حوار الحضارات يتمثل أمامنا اتجاهات التحيز وعدم الموضوعية في وسائل الإعلام من خلال فرض الصورة النمطية وقدرتها على تهميش حوار الحضارات وتشكيل الصورة الذهنية وإيجاد واقع يفترضونه وينفذونه ويؤثرون فيه بفاعلية، فهم يمتلكون الأداة في التأثير الإعلامي، وهو ما ولد لنا صراع اتصالات من جانب واحد في مجتمع المعرفة الذي بدلاً من أن يتفاعل من خلال زيادة الاتصال وَفْق رؤى مشتركة دون أن يوجه وفق رؤيته الضيقة في استقطاب فئات مهمشة إعلامياً فرض الإعلام الرسمي سطوته أصبحت تصول وتجول معهم تتحدث بلساننا، فنجد حوار الحضارات يركز حول قضايا، مثل: التعارف وحقوق الإنسان والمرأة والأمن، متجاهلين كيفية عمل التفاعل الشعبي والرسمي معا لرقي الأمم على سطح الأرض، وهنا تبرز أهمية الحوار الحضاري على المستوى المعرفي والأخلاقي والديني ليتأسس منه حوار بين الأنساق المعرفية في كل العالم لمراجعة الذات وتقييم المسار والتواصل.

إذاً لا بد أن تجتمع الجهود على أهداف مشتركة وإن تنوعت المنطلقات على خريطة المشاركين ليقدمون لنا خبراتهم وفق رؤى لا أهداف خلفها، وهو الأمر الذي يمثل لنا فرصة لحوار الحضارات ندعو فيه إلى التواصل بين حضارات العالم جميعاً بحيث تجمعها المشتركات الإنسانية إلى الشراكة لكن مع تنوع المنطلقات والمرجعيات، وأن يكون الدين الاسلامي ديناً يعترف به رسمياً فكيف نحاور ولم يعترف بدين سماوي هو خاتم الأديان؟

كيف نمثل في أي حوار حضاري بوصفنا مؤسسات وأفراد يرغبون في حوار مشترك حضاري دون أسس دينية لنا معترف بها للمحاورين، بينما يتسلحون هم بسلاح الدين ويرغبون في تجاهل الدين الإسلامي؟

فنحن لا نريد مناقشة قضايا أحادية ينحاز إليها القوي الذي يدعو إلى إخضاع العالم لثقافته هو وحده ورؤاه ونحن ندخل ضمن مساراته، إذاً لا بد من التعامل في الحوار الحضاري وفق المساواة ضد كل مظاهر التحيز المبتدعة والثقافات الأخرى. فعلى سبيل المثال: هيمنة العولمة رغم ادعائها بقرية عالمية صغيرة متواصلة واستخدامها للتقنية في مجال المعلومات والتطور الاقتصادي والعسكري؛ لم تستطيع أن توحد العالم حول قيم معينة لأن لها أجندة مرسومة وهو ما ترتب عليه العديد من النتائج المؤثرة في الدول والشعوب،

* كاتبة وأكاديمية.

أهمها: تحريض القوى الشعبية بحجة الاتصال السريع التقني من فضائيات وهواتف ونت وغيرها وتغذية الإرهاب والحروب.

ولنسأل هل تقصير المسافات ألغى الجغرافيا؟

بالعكس نجد أن الحواجز زادت وتأطرت القوميات بأطر ثورية ودفع باليأس والإحباط لمقاومة نفسية ومعنوية وسياسية وأزمات أخلاقية وتحرر باسم مجارة العالم بفضل فرض معتقداتهم وهم القلة على الكثرة. وكأن العولمة وصراح الحضارات التي ابتدعوه قدمت لنا عالماً مثالياً، أي نعم تقدمنا في مجال التكنولوجيا ولكن بفجوة في مجال الأخلاقيات التي فرضها التحرر من القيم والأخلاقيات والدين وإلى مزيد من التهميش، هددوا به الوحدة والقوة والوطنية وأشعلوا فتيل الإرهاب والحروب. لذا بدأنا نلهث وراء حوار حضارات للتعايش دون رسم استراتيجية تجمع بين التنمية والتكنولوجيا والعرف والأخلاقيات والدين وشريعته، وقبل كل شيء تعيد لنا التوزيع العادل وتكافؤ الفرص، حتى لا ندرج الحوار الحضاري بشعار لفرض الهيمنة وسلب الشعوب قيمها وعاداتها واستغلال القلة للأغلبية وهم الكثر وللحوار الفارغ المستهلك. وحتى لا نغفل فكرة صراع الحضارات لكي نعيد تشكيل الواقع بتغير المفهوم للشعوب الأخرى فتجبر الحضارات التي لا تسير في ركاب حضارة الغرب بإجبارها على التراجع والانكماش وليس على الحفاظ على خصوصياتها وحياة شعوبها على الصعيد الحضاري أو الأخلاقي.

نريد حوار حضارات ولكن دون تحيز، بل بوضع يتجلى فيه عدم الشعور بموقع المعتدى عليه والمغزو والضعيف الذي قدم للحوار ليتعلم ويملى عليه، فتحيز مع محاولات إقصائنا أو الهيمنة ينجم عنه تحيزنا بالمقابل بالرفض.

نريد حواراً يخدم الخصوصية ويعترف بما لدينا من قيم ومبادئ تتسع للبشرية جمعاء.

نريد حوار حضارات للانبعاث الحضاري بالنهوض في مجتمعاتنا المسلمة نولدها من العقيدة الإسلامية التي هي صالحة لكل زمان ومكان وفق رؤيتنا وتشاركنا مع العالم في المشترك الحضاري بالعمل والحوار المثمر والفاعل، وخاصة أن حضارتنا تدعو إلى السلم والتسامح فيا أهلاً ونتحاور حضارياً ولنجلس على طاولات حوارات كل بحجمه وقيمه.